**الاحتجاج بالقراءات الشاذة في علم البلاغة**

**مبحث فى علم القراءات الشاذه**

**إعداد / أحمد محمد سمير**

**قسم الدعوة وأصول الدين**

**كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية**

**شاه علم - ماليزيا**

[**Ahmedmsamir54@gmail.com**](mailto:Ahmedmsamir54@gmail.com)

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى الاحتجاج بالقراءات الشاذة في علم البلاغة**

**الكلمات المفتاحية – البلاغه، الكتب، الخاصه**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة الاحتجاج بالقراءات الشاذة في علم البلاغة**

* **.عنوان المقال**

**بقي لنا أن نبين الاحتجاج بالقراءات الشاذة في علم البلاغة.**

**نقول: المتتبع للكتب الخاصة بالاحتجاج بالقراءات الشاذة؛ كـ(المحتسب) الذي بينا منهج ابن جني فيه يلمح فيه مواضع من قبول الشاذ قبولًا بلاغيًّا، وإثبات الفصاحة له، وإثبات بعض الأسرار البلاغية، بل لقد قال ابن جني: "ولعله -أي: الشاذ- أو كثير منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه" نعم، وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتفيض بغيره فصاحته.**

**وأكد ابن جني أن العدول عنه ليس غضًّا منه ولا تهمة له، وكيف، وهو مروي مرفوع حبيب الله -تعالى- مأمور به بتقبله، والعمل بموجبه، وإنه وإن كان فيه ما ضعف إعرابه، ففي السبع الفصل بين المتضايفين، وهمزة برآء، ومع ذلك مأخوذ به.**

**والآن لنضرب الأمثلة التي تبين لنا الاحتجاج بالقراءات الشاذة في علم البلاغة.**

**من ذلك: قراءة عبد الله بن عباس { الدالة على الاستفهام في "مَن فرعون" بفتح ميم "من" وضم نون "فرعون" لقوله تعالى "ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين مَن فرعونُ إنه كان عاليا من المسرفين".**

**والمراد من الاستفهام ههنا أنه لما وصف العذاب بالشدة والفظاعة زاده تهويلًا بقوله: "مَن فرعون" على معنى: هل تعرفون من هو فرعون في فرط عتوه وغاية تجبره؟ فما ظنكم بعذاب يكون هو المعذب به، فلذلك قال: "إنه كان عاليًا من المسرفين".**

**قلت: وهذا التحقير مثلما يقال لمن افتخر بحسبه ونسبه: من أنت؟ تحقيرًا له وتصغيرًا من شأنه، وقيل: لتحقير فرعون بجعله غير معلوم يستفهم عنه، كالنكرة؛ لما فيه من القبائح التي لم يعد مثلها، وما بعد يناسب ما قبل كما لا يخفى.**

**وهذا الموضع من الأمثلة النادرة التي اهتبلها البلاغيون، وأشاروا إليها في اختلاف المعاني القرائية.**

**وأيضًا من الأساليب البلاغية التي يستشهد لها من القراءات ما وراء العشر نظم الأسلوب، وعلاقته بإرادة ناظمه تحويل الفضلة إلى عمدة لشدة العناية بها، وهذا حكم بلاغي يحتج له ويثبت بقراءة يزيد البربري "وعُلّم آدم الأسماءَ كلها" وقد لاحظ بعض العلماء هذا الملحظ، وأدركوه إدراكًا دقيقًا، فابن جني عند قراءة يزيد البربري "وعلم آدم الأسماء كلها" بضم العين من "علم" على البناء لما لم يسم فاعله، ورفع الميم من آدم "وعلم آدمُ" يرى أن بناء الفعل للمفعول دليل على قوة العناية به.**

**فهو يقول: فإذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة حتى ألغوا حديث الفاعل معها، وبنوا الفعل لمفعوله، فقالوا: ضرب زيد حسن. قوله: "وعُلّم آدمُ الأسماءَ كلها" لما كان الغرض فيه أنه قد عرفها وعلمها وأنس إليها علم المخاطبين بأن الله  هو الذي علمه إياها بقراءة من قرأ: {ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ} [البقرة: 31] ونحوه قوله تعالى { ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ} [المعارج: 19] وقوله {ﭥ ﭦ ﭧ} [النساء: 28] هذا مع قوله {ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ} [العلق: 2] وقال سبحانه {ﭼ ﭽ \* ﭿ ﮀ} [الرحمن: 3، 4] وقال تبارك اسمه: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ} [الرحمن: 14].**

**ولكن المعتاد لدى البلاغيين أن يتكلموا عن أسرار حذف الفاعل، وعن أوضاع المفعول به تدل على الاهتمام به، لا تجد فيها تحويله إلى عمدة، وإذا وصلت في كتبهم إلى كلام عن بناء الفعل للمفعول وجدت من أسرار حذف الفاعل أو حذف المسند إليه -بعبارة أخرى- ما اكتفي فيه بأن يقال قولهم: ضرب زيد، الغرض منه أن يعلم أنه منصوب، وليس الغرض أن يعلم من الذي ضربه، فكأنما السر البلاغي في تحقيق مثل ذلك، الغرض فقط، مع أن الغرض والسر في ذلك الحذف أو في ذلك التحويل وتصيير الفضلة عمدة، وأن يعلم أن آدم # معلم معتنى به عناية شديدة، وهذا ما ألمحه ابن جني في كلامه السالف الذكر.**

**أضف إلى ذلك أن البلاغيين كأنما يصرفونك صرفًا عن الفاعل؛ ؛ إذ لا يذكرون لك شيئًا مهمًّا عنه، فإنهم يلفتونك إلى تعلق الغرض بالمفعول فقط، وأنه منفعل، وهذا حد يقف البلاغي عنده، فيظلم المقام وتحتجب عنه بقية الأسرار.**

**أما شرح ابن جني لقراءة "وعُلّم آدمُ الأسماءَ كلها" فإنه لم يكتف بذلك، بل إنه مع إبراز العناية بالمفعول به اعتنى بشأن الفاعل، ومن الأساليب البلاغية التي يحتج لها بالقراءات الشاذة: تعدد معنى التنكير بين القليل وإرادة الجنس، كما يستدعى التعريف بـ"أل" معنى العهد الذهني والتعظيم، ويظهر ذلك جليًّا فيما ذكره ابن جني من ملامح بلاغية في قراءة الحسن "اهدنا صراطًا مستقيمًا" من قوله: {ﭧ ﭨ ﭩ} [الفاتحة: 6]؛ إذ يقول: "ينبغي أن يكون أراد -والله أعلم- التذلل لله، وإظهار الطاعة له؛ أي قد رضينا منك يا ربنا بما يقال له صراط مستقيم، ولسنا نريد المبالغة في قول من قرأ: {ﭨ ﭩ} أي: الصراط التي قد شاعت استقامته، وتعولمت في حاله وطريقته.**

**فإن قيل: هذا منك لنا ذاك عندنا، وكثير من نعمتك علينا، ونحن له مطيعون، وإلى ما تأمر به وتنهى فيه صائرون، وزاد فيه حسن التنكير هنا ما دخله من المعنى، وذلك لأن تقديره أدم هدايتك لنا، فإنك إذا فعلت ذلك بنا فقد اهتدينا إلى صراط مستقيم، فجرى حينئذ مجرى قولك لئن لقيت رسول الله  لتلقين منه رجلًا متناهيًا في الخير، ورسولًا جامعًا في الفضل، فقد آلت به الحال إلى معنى التجريم.**

**ويستدل على ذلك المعنى بأمثلة متعددة سنقف عليها في مواضعها ثم يقول عليه قول الله -عز اسمه: {ﭵ ﭶ ﭷ} [النساء: 68] أي: هديناهم من نعمتنا عليهم، ونظرنا لهم صراطًا مستقيمًا، وقال كثير:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أمير المؤمنين على الصراط** | **\*** | **إذا اعوج الموارد مستقيم** |

**وهذا كقولك: أمير المؤمنين على الصراط المستقيم، لا فرق بينهما، وذلك أن مفاد نكرة الجنس مفاد معرفته من حيث كان في كل جزء منه ما في جملته، ومعنى ذلك أن تعدد الرؤيا إلى الكلمة في سياقها من الآية، ثم الآيات هو الذي استدعى كل هذه الأوجه البلاغية التي تلمسها ابن جني، وغيره من العلماء لتنكير "صراط" وتعريفه، فيفيد التنكير معنى التقليل الذي يناسب مقام التذلل والدعاء والضراعة، كما يفيد أيضًا معنى الجنس.**

**إذًا "صراط" جنس وتنكيره وتعريفه متقاربان حيث كان في كل جزء منه معنى ما في جملته، وربما يستدعي التنكير كذلك معنى التعظيم إذا حملناه على نظيره في آيتي "يس" وهما قوله تعالى: {ﭽ ﭾ ﭿ} [يس: 4] وقوله جل وعلا: {ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} [يس: 61] فهو صراط بليغ في استقامته، جامع لكل ما يجب أن يكون عليه، وأصل لمرتبة يقصر عنها التوصيف والتعريف.**

**أما العهد الذهني الذي دلت عليه المعرفة في سياقها، فيرى العكبري أن النكرة قد تنصرف إلى معناه بقرينة، والقرينة شيئان: أحدهما: قوله {ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ} [الفاتحة: 7] فأبدل الثاني من الأول فتخصص. والثاني: أن الغرض هي هدايتهم إلى صراط مستقيم، وقد ثبت بالدليل أن الإسلام هو الصراط المستقيم، ولا مستقيم سواه.**

**أيضًا من الأساليب البلاغية التي يحتج لها بالقراءات الشاذة: الاستعارة في المفرد، وذلك كما في قوله تعالى {ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ} [النمل: 74] فقرأها الجمهور "تكن" بضم التاء وكسر الكاف {ﯵ} وقرأ ابن محيصن وحميد "تَكُن" بفتح التاء وضم الكاف.**

**قال ابن جني بعد ذكر قراءة ابن محيصن ومن معه: "المألوف في هذا أكننت الشيء إذا أخفيته في نفسي وكننته إذا سترته بشيء، فأكننت كأضمرت، وكننت كسترت، فأما هذه القراءة {ﯵ ﯶ} فعلى أنه أجرى الضمير مجرى الجسم الساتر لها مبالغة، وذلك لأن الجسم أقوى من العرض وهذا نحو قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وحاجة دون أخرى قد عرضت لها** | **\*** | **جعلتها للتي أخفيت عنوانا** |

**فأجرى ما يخفيه الضمير، ويبرزه البوح به مجرى ما يدرك باللمس تنويهًا بها ومباداة للحس بإدراك".**

**وبالنظر إلى كلام أبي الفتح نلمح أنه بنى هذا الوجه البلاغي عنده على مألوف استعمال أكننت وكننت في اللغة، ومن ثم فقراءة الجمهور تجري في ذلك على الأصل، أما قراءة ابن محيصن، ومن معه فقد انتقلت عن ذلك الأصل فأجريت إضمار النفس للأسرار مجرى الجسم الساتر لها بغرض التأكيد لإبراز المعنوي في صورة المحسوس، والمبالغة في الإخفاء والتستر، وهو وجه لا يتحقق في توجيه القراءة إذا ما أخذنا بمذهب من يسوي بين الصفتين، ويرى أنهما لغتان يتعاوران على المعنيين جميعًا.**

**ومن الأساليب البلاغية التي يحتج لها بالقراءة الشاذة أيضًا من أسرار الاختصاص ما دعا إليه الترخيم، وذلك في قراءة علي بن أبي طالب، وابن مسعود { ويحيى والأعمش "ونادوا يا مال ليقض علينا ربك" قال أبو الفتح: "هذا المذهب المألوف في الترخيم إلا أن في هذا الموضع سرًّا جديدًا، وذلك أنهم لعظم ما هم عليه ضعفت قواهم، وذلت أنفسهم، وصغر كلامهم، فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورة عليه، ووقوفًا دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله القادر على التصرف في منطقه.**

**المراجع والمصادر**

1. **(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**

**أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1994م**

1. **(مرشد الأعزة في بيان موقف العلماء من القراءات الشاذة)**

**عبد الكريم إبراهيم صالح، دار المحدثين, 2006م**

1. **)إعراب القراءات الشواذ)**

**أبو البقاء العكبري، بتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب, 1996م**

1. **(الاختلاف بين القراءات)**

**أحمد البيلي، بيروت، دار الجبل، 1988م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي)**

**محمود أحمد الصغير، بيروت، دار الفكر المعاصر, 1999م**

1. **(كتاب المصاحف)**

**أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتب العلمية, 1985م**

1. **(مختصر في شواذ القران من كتاب البديع أو القراءات الشاذة)**

**الحسين بن احمد ابن خالويه، دار الهجرة، 1934م**

1. **(القراءات القرآنية في بلاد الشام)**

**حسين عطوان، بيروت، دار الجيل, 1982م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)**

**عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1975م**

1. **(اليزيدي القارئ النحوي دراسة نحوية قرآنية)**

**محمد أحمد علي سحلول ، دار الحسين الإسلامية, 1989م.**

1. **(شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية)**

**محمد أحمد علي سحلول، دار الطباعة المحمدية, 1993م**

1. **(قراءة أبي السمال العدوي)**

**حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، الجريس، القاهرة, 2000م**

1. **(قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها ومصادرها إحصاؤها)**

**محمد أحمد خاطر، دار الاعتصام, 1990م**